بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

إن مآثر العلماء العلمية والعملية يزهو بها التأريخ كما تزهو بها المحابر والأوراق فهي تلخص للأجيال مواقف وشواهد صناع التأريخ ، فبعث تلك المآثر هو نوع من أحياء النفوس ، واستجلاب الرموز العاملة في واقع المسلمين ، الذين كانوا نبراس هداية وإصلاح وبناء علمي ومعرفي في جوانب عدة ، ومن هؤلاء الأفذاذ صاحب المعالي العالم الأديب الحافظ المسند الشيخ / محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله ، فقد كان رحمه الله مسطور ومنطوق يستحق النشر والإبراز ، ليستجلي منه الناظر مقام الشيخ رحمه الله في الميدان العلمي والعملي .

فللشيخ رحمه الله مدونات علمية تعنى بإبراز أثر الكتاب والسنة النبوية ومقامهما في الارتقاء بحياة الناس على تعددها وتنوعها ، وتهذيب النفوس وتقريب منهج التربية الإسلامية ، وبيان الحق فيما يجب على الخلق في حق الله سبحانه ثم حق الغير والنفس ورسم المنهج الأسمى في بيان دعوة محمد عليه الصلاة والسلام وتبين دلائل نبوته وحتمية محبته ونصرته وكشف مقام الصحابة وإعلان فضائلهم وتجلية العقيدة الصافية من خلال شرح مسائل الجاهلية ، وتأصيل طبيعة العلاقة المتبادلة بين الراعي والرعية. توزعت على أرباع الدين ، ربع العبادات ، وربع المعاملات ، وربع المنجيات ، وربع المهلكات .

واجتمع للشيخ على منبر المسجد الحرام خطب عدة عالجت قضايا متنوعة جمع فيها بين التأصيل والبيان في أسلوب واضح لكل سامع .

وإن علم الحديث ذو أولوية في حياة الشيخ على مستوى الدراية والرواية ، فخط قلمه رسالة في الإجازة بالرواية فقد كان من المسندين في رواق الحرم المكي ، وهو مبصر لمواقع الإسناد ومواضعه العالي منه والنازل، فتسلسلت له مدونات الحديث وأهل العلم بين الإجازة والوجادة.

من جميل ما جمع للشيخ محادثته للمجتمع من خلال منصة الإذاعة في برامج علمية وأخرى إفتائية اشتملت على النصيحة في الشأن الاجتماعي والتربوي والفقهي والموعظة المتنقلة بين الترغيب والترهيب .

وللحرمين في اهتمام الشيخ سبق للعناية والرعاية فقد وظف قلمه البحثي في تأصيل بعض المسائل المتعلقة بأحكامهما ، وسطر رصدًا كشف به معالم الرعاية لهما .

ومن فضل الله أن جميع هذا المنثورات العلمية قد جمعت في هذه الأسفار المتسلسلة لتبرز جهد الشيخ رحمه الله ومجهوداته ، فيظفر محبو الشيخ بتركته العلمية لينهلوا منها المعاني الشرعية ، ويتأملوا من خالص التوجيهات والإرشادات التربوية .

وقد أحسن الجامع فضيلة الدكتور عبد المجيد بن محمد السبيل ومن بعده الشيخ أحمد بن فهد الشويعر في بناء هذا السفر المدبج بترجمة حالفة لشيخنا العالم الأديب محمد بن عبد الله السبيل ، التي جلت سيرة الشيخ من درجة في العلم إلى ارتقائه سلم المسؤولية .

ثم جاءت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بتوجيه من معالي رئيسه الزميل الصديق الشيخ الدكتور / عبد الرحمن بن

عبد العزيز السديس لتضمين هذه الثمار وتجميعها في هذا السفر ذي المجلدات ليبقى ذخرًا وذكرًا لشيخنا محمد أسبل الله عليه شآبيب رحمته .

سائلاً المولى أن يرحم الشيخ رحمة واسعة وأن يبلغه أعلى المنازل في الجنة ، وأن يبارك في علمه وينفع به ، وأن يوفق ذريته لكل خير في أمر الدين والدنيا .

كتبه

د. صالح بن عبد الله بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام

عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع شأن العلم وعظم قدر العلماء ، والصلاة والسلام على إمام الحنفاء وسيد الأصفياء ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره ما تعاقب النور والظلماء ، أما بعد :

فمما لا شك فيه أن للعماء مكانة كبرى ومنزلة عظمى قال تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ فإذا جعلت النجوم زينة للسماء ، وهي اللآلئ التي طرزت بها الصحيفة الزرقاء ، فإن العلماء هم زينة الأرض ونورها وجمالها وسرورها ، بهم تهتدي العقول الحائرة ، ومن معينهم ترتوي النفوس الظامئة ، وإلى ظلالهم الندية تفيء الأرواح الطاهرة .

ولقد حدثنا فجر التاريخ ، وأنبأنا ضحى الزمان ، بل أصلت لنا شريعة الديان، أن حضارات الأمم والجماعات، وأمجاد الشعوب والمجتمعات : العلمية والفكرية والإصلاحية ، لا تقوم إلى على مصابيح العلوم ، ومشاعل المعرفة ، وسُرُجِ الفهوم، التي يَمْتشِقها العلماء الرَّبَّانِيُّون : المصْلِحُون الصَّادِقون ، والمفكِّرون المُلهمون ، والمُربُّون المبدعون ؛ لأنهم كالماء المَعين يَسُوقه المولى ـ سبحانه ـ إلى الأرض الجُرز ، فتهتزُّ بعد همود ، وتَرْبو بعد جمود ، فتُنْبِتُ كُلَّ زوْجٍ بهيج ، وتَضُوعُ بِكل عَرْفٍ أريج ؛ لأنهم خُصُّوا بِسِرِّ مِيرَاث الأنبياء ، ألا وهو: العِلم ، قال ﷺ : « إنَّ العلماء ورثة الأنبياء ، لم يورِّثوا دينارا ولا درهما ،إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به، أخذ بحظٍّ وافر» رواه أبو داود . قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: (العلم هاد، وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عَصَبتُهم وورَّاثُهم) ؛ لأنه مُنطلق الدِّين،

ورِكاز الدَّعوة الثَّمين ، ونِبْرَاس الأئمة المجتهدين ، العلم : ربيع الباحثين النُّبهاء ، وعِطر الدَّارسين النُّجَبَاء ، وأنْس المُحَقِّقين النُبلاء ، فيه نور السُبل والدُروب ، وجلاء البَصائر والقلوب ؛ لذلك – وما أعظم ذلك – لم يَسْتزِد المصطفى ﷺ إلا مِن العِلم ، قال جلَّ شأنه ﴿ وقل ربِّ زِدْني علما﴾ .

وإن يكن العلماء بهذا المحل الأسنى والمقام الأعلى ؛ فإن لعلماء الحرمين الشريفين من الشرف أعلاه ، ومن الفضل أزكاه ، كيف لا وقد شرفهم الله فجعلهم حراس المنبعين ، وأسطين المسجدين ، ولذلك كانت لهم في العالم الإسلامي مكانة لا تجارى ، ومنزلة لا تبارى .

ومن هؤلاء الأئمة الفضلاء والعلماء الأجلاء والحكماء النبلاء معالي شيخنا العلامة الفقيه الإمام / محمد بن عبد الله السبيل – رحمه الله – الذي اشْتهر عِلْمه وصِيته اشتهار الشمس في رابعة النَّهار ، وسَار ذِكْره الأرِج المعطار ، في مشارق الأرض ومغاربها من الأقطار ؛ كيف وقد قضَى من عُمُرِه المُبَارك أكثر من أربعين سَنة في محرَاب المَسْجد الحرَام ومِنْبرِه، يَدْعو إلى الله – تبارك وتعالى – بِلسَانِه ومِزْبَره : تَرْبيةً وتعليمًا ، إرْشادًا وتفهيمًا، دَاخِليًّا ودوليًّا ، وذلك بما خصَّه الله – سُبحانه – بالمكارم الفريدَة الحُسْنى ، والمَنَاقِب المُوَشَّاةِ بَهْجةً وحُسْنا : فعقلٌ موفور رَاجح ، وقول نديٌّ سَاجح ، مع طيب المَعْشر ، وكرَم النِّجار ، ومجَادَة النَّجِيتة ، عَزَّزَ ذلك وعضَّده في مَيْدَان العلوم والمعَارف : صَفَاء الذِّهن ، وقوَّة العَارِضة ، والتِمَاع الفؤاد ، فكان – رحمه الله وأكرَم مثواه– طيلة حَياته في رياض الجدِّ والدَّأبِ مَسِيرُه،، والعِلْم دَيْدَنه وسَميرُه ، وحُبُّ الخير حاديه ومُثيرُه ، إلى أن غَدَا في الفقه ـ والحَنْبَليِّ خصُوصًا ـ ، طوْده الأشم ، وبَدْرَه الأتم ، الذي تلألأت في العالم

الإسلامي بَوَارِقُه ، وسَرَى منه عَذْبُه ورَائقه ، مع دِقَّة التَّدْليل ، وجَزَالَةِ التَّأصيل ، وفي الخطابة الخطيب المُجَليِّ المِصْقع ، وفي الدَّعوة والوعظ، الرَّائد المِسْطَع ، وأمَّا في اللغة وفُنونها، فَفَارِسٌ وأيُّ فارس !! زَاحم بِمَتِين عارِضته ابن فارس . وفي الجملة، فقد صَحَّ فيه قول الإمام الشاطبي – رحمه الله – (وقد تحقَّق بالعِلم وصَارَ لهُ كالوَصْفِ المَجْبُول عليه ، وفَهِم عن الله مُرَادَه).

ومِنْ يسير الوفَاء لشيْخنا العَلاَّمة –رحمه الله– جمع آثاره وطباعتها ونشَرها ؛ رَاجين من المولى –جلَّ اسمه– أن تكون من العمل الخالد الباقي، الذي لا يعروه انْفِصال أو انْقِطاع ، أو دُروس واتِّضاع ؛ لِمَا أخْرَجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انْقطع عنه عمله إلاَّ مِن ثلاثة : إلاَّ من صَدَقة جارية ، أو علم يُنْتفع به ، أو وَلَدٌ صالح يدعو له » .

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شـــهم يمـوت بموته بشر كثير

ومن هنا تأتي أهمية جمع الحصيلة العلمية ، والنتاج الزاخر الذي تركه هذا العالم الجليل ، ونشره في دروسه وخطبه وفتاواه ومؤلفاته ، فهو ليس مجرد علم يجمع ، بل هو : علم وتربية وتزكية وتجربة وخبرة ، بل هي موسوعة متكاملة في شتى العلوم والمجالات .

ولقد كان من فضل الله على الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي أن قامت بطبع هذا التراث الضخم ونشره وتوزيعه عبر مركزها الميمون (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) وهو مركز مبارك يقوم عليه ثلة من ذوي الاختصاص والخبرة ، ويعنى

بدراسات الحرمين الشريفين الشرعية والتاريخية والعلمية ، وقد جمعت هذه الحصيلة العلمية المباركة في عشرة أسفار تتهادى إلى قرائها في حلة قشيبة وطبعة فاخرة وتنسيق أنيق لعله يكون من المآثر الباقية والصدقات الجارية لشيخنا المبجل – رحمه الله .

وختامًا أزْجِي من الشكر أعطره ، ومن التَّقدير أوفرَه ، للأبْنَاء البَرَرَة، والأصهار الخِيَرَه ، لسماحة شَيْخنا العلامة محمد بن عبدالله السبيل –رحمه الله– كِفاء بِرِّهم بوالدهم، وحرصهم على إخراج آثاره العلمية الكاملة ؛ لِيَرتوي منها الصَّادي ، ويشدو بإمتاعها الحَادِي . كما أتوجه إلى الله بالدعاء أن يسبغ على شيخنا واسع رحمته وعظيم مغفرته كفاء ما قدم في خدمة الإسلام والمسلمين وما قدمه للحرمين الشريفين ، وأن يجعل هذا العمل المبارك في ميزان حسناته وصالح أعماله إنه جواد كريم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا .

الرئيس العام
لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
أ.د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس